ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٥٣) - اعرف امامك (ج٥٢)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(46)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٢٢)
الشأن (٣) - العبادة التوحيدية (ج٧)
التوجه (ق١)
الجمعة : ٢٢/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ٤/٦/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

كُنتُ أتقلبُ بينَ أحاديثهم الشريفة الَّتي تُحدِّثُنا عن المضامينِ المتقدِّمة الذكر:
في الجزء الثاني من (الكافي الشريف)، من الطبعة الَّتي تقدَّم ذكرها في الحلقات الماضية، صفحة (١١٢)، باب النيّة، الحديثُ الخامس: **بسنده، عَن أبي هَاشمٍ قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْد الله** - إمامنا الصّادقُ صلواتُ الله عليه - **إِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لأَنَّ نِيَّاتهم كَانَت فِي الدُّنْيَا أَنْ لَو خُلِّدُوْا فِيهَا أَنْ يَعصُوا اللهَ أَبَداً، وَإِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ الجَنَّة فِي الجَنَّة لأَنَّ نِيَّاتِهِم كَانَت فِي الدُّنْيَا أَنْ لَو بَقوْا فِيهَا أَنْ يُطِيعُوْا اللهَ أَبَدَاً، فَبِالنِيَّات خُلِّدَ هَؤُلاء وَهَؤُلاء، ثُمَّ تَلا قَولَهُ تَعَالى: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه"، قَالَ: عَلَى نِيَّتِه** - الحديثُ بكُلِّ تفاصيله يشهدُ في كُلِّ حرف من حُروفه على ما تقدَّم من حديث حولَ أنَّ النيّةَ في جُزئها الأوَّل؛ وعيٍ وإدراكٌ وفهمٌ لمضمونِ العملِ الَّذي نقومُ به، أن نعرفَ شيئاً من حقيقته، شيئاً من أسراره، شيئاً من شؤونه، شيئاً من غاياته وأهدافه..
فهذا الحديثُ يُؤكِّدُ المضامين المتقدِّمة، هذه القضيّةُ ترتبطُ ليسَ بر كعتي صلاة، وإنَّما بالخلود في الجنان، وبالخلود في النيران، حينما قلتُ هذه القضيّةُ لا ترتبطُ بركعتي صلاة، إنَّني لا أستصغرُ الركعتين أبداً في أحاديثنا، "**مَن صَلَّى رَكعتَينِ عَلى أتَمٍّ وَجه فَقَد ضَمِنَ الجَنَّة**"، إذا صلَّى ركعتين على أتمِّ وجه لأنَّنا لا نُصلِّي صلواتنا على أتمِّ وجه، "**فَمَن صَلَّى رَكعتَينِ عَلى أتَمٍّ وَجه**"، هذا يعني أنَّهُ متفقٌّهٌ كما يريدُ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، وهذا يعني أنَّ لهُ القُدرةَ على أن يتوجَّه توجُّهاً صحيحاً، وهذا لا يتوفَّرُ لكُلِّ أحد، إلَّا أن يكونَ مُخلصاً، إلَّا أن يكونَ صادقاً، إلَّا أن يكون عاملاً بورعٍ وبعفَّة وسداد حتَّى يستطيع أن يُصلِّي ركعتين على أتمِّ وجه، لكنَّني ذكرتُ الركعتين مثالاً بحسبِ ما يتصوَّرهُ النَّاس، فإنَّني أردتُ أن أُقارنَ بينَ ركعتينِ في نظرِ النَّاس لا قيمة لها وبينَ مسألة الخلود في الجنانِ والخلود في النيران من جهة الوقت، فوقتُ ركعتينِ ما هو بوقتٍ طويل، بينما الحديثُ يتحدَّثُ عن خلود في الجنانِ وعن خلود في النيران وفقاً للنيّة، هذه النيّةُ ليست مطلقةً من دونِ تشخيص، هذه نيّةٌ فيها وعيٌ بغض النَّظرِ أكانَ وعياً من الوعي الباطل، أم كانَ وعياً من الوعي الحقّ.
إِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لأَنَّ نِيَّاتهم كَانَت فِي الدُّنْيَا أَنْ لَو خُلِّدُوْا فِيهَا أَنْ يَعصُوا اللهَ أَبَداً - المرادُ هنا أنْ يَعْصُوا اللهَ أبَدَاً؛ أن يبقوْا على نقضهم لبيعة الغدير، فليس الحديثُ عن صلوات هنا، الصلواتُ لا تكونُ سبباً في تخليد النَّاس لا في الجنانِ ولا في النيران، العقيدةُ هي الَّتي تكونُ سبباً لتخليد النَّاس في الجنانِ ولتخليد النَّاس في النيران، والمعصيةُ هنا هي المعصيةُ الكبرى، هي المعصيةُ في العقيدة، فهؤلاء لو خُلِّدوْا في الدنيا نيّتهم أن يبقوْا على نقضهم لبيعة الغدير.
والمجموعةُ الأخرى لو خُلِّدوْا في الدنيا فنيّتهم أن يبقوْا مُصدِّقينَ ببيعة الغدير ويحاولون الوفاءَ بها والوفاءَ لها بقدرِ ما يستطيعون، بالضبط مُبغضُ عليٍّ لو خُلِّد في الدنيا سيبقى على بُغضه لعليٍّ، ومُحبُّ عليٍّ لو خُلِّد في الدنيا وليسَ هناك من جنَّة ولا نار فإنَّهُ سيبقى مُحباً لعليٍّ.
-**ثُمَّ تَلا قَولَهُ تَعَالى: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه"، قَالَ: عَلَى نِيَّتِه** - هذه هي الآيةُ الرابعةُ والثمانون بعد البسملة من سورة الإسراء: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ - على نيّته - ﴿**فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً**﴾، الحديثُ عن العقيدة، فالسبيلُ هو العقيدةُ، هذا هو منطقُ قُرآننا، وهذا هو منطقُ حديث العترة الطاهرة.
في الجزء الثاني من (الكافي الشريف) في المصدر نفسه الَّذي بين يدي، صفحة (٥٩١)، حديثٌ طويل، كتابُ فضل القُرآن، الحديثُ الأوَّل: **بسنده، عَن سعد الخفَّاف، عَن إمَامنَا البَاقرِ صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه** - روايةٌ طويلةٌ مُفصَّلةٌ، ممَّا قالهُ إمامنا الباقرُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه لسعد الخفَّاف: **(قَالَ لَهُ: فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الصَّلَاةَ فَقَد أَنْكَرَ حَقَّنَا)**، تلاحظون أنَّ المعاني تتعاضدُ تعاضُداً غريباً، هذه النصوصُ تُشكِّلُ لنا بناءً مُستحكماً مُترابطاً، ألا لعنةُ ولعنةُ ولعنةُ ولعنةُ ولعنةُ إلى أن ينقطع النَّفس، وبعد انقطاع النَّفس، ألا لعنةُ على منهج حوزة النَّجف الَّذي باعد فيما بيننا وبينَ هذه الثقافة الأصيلة.
في (تفسير إمامنا الحسن العسكري) صلواتُ الله وسلامهُ عليه، سيِّدُ تفاسيرِ آلِ عليٍّ، تفسيرُ العسكري، لا كما يذهبُ الثولان في النَّجف إلى تضعيفه وإلى إنكاره،
/ طبعةُ منشورات ذوي القربى / وهي الطبعةُ الأولى / قم المقدَّسة / صفحة ٢٩٩ وما بعدها / حديث (١٨٠)، الحديث الثمانون بعد المئة والأحاديث الَّتي تأتي بعد هذا الحديث، هذه نُخبةٌ من كلماتهم تصبّ في نفس المجرى وتأتي في نفس السياق الَّذي نتحدَّثُ فيه:
من أنَّ النيَّة في جُزئها الأوَّل: لابُدَّ أن تشتمل على وعي، على فهمٍ، على إدراك.
وفي جزئها الثاني : الإخلاصُ للَّه سبحانهُ وتعالى ليس هناك من شريك لله في هذا العمل الَّذي نُؤدِّيه.
إمامُنا السجَّادُ صلواتُ اللهِ عليه كما يُحدِّثنا إمامنا العسكريّ عن جدِّه السجَّاد، يقول: **إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ لَا غَرَضَ لِي إِلَّا ثَوَابُه، فَأَكُونَ كَالْعَبد الطَّمع الْمُطِيع** - وفي بعض النُّسخ في النُّسخ الَّتي نَقَلَت عن تفسير إمامنا الحسن العسكري في القرون الماضية (فَأَكُونَ كَالعَبدِ الطَّمعِ الْمُطمِع)، ولكنَ هنا في النسخة الَّتي بين يدي: **كَالْعَبد الطَّمع الْمُطِيع إِنْ طَمعَ عَمَل، وَإِلَّا لَم يَعْمَل.**
إمامنا السجّادُ يقول: **إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ لَا غَرَضَ لِي إِلَّا ثَوَابُه، فَأَكُونَ كَالْعَبد الطَّمع الْمُطِيع إِنْ طَمعَ عَمل وَإِلَّا لَم يَعْمَل، وَأَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَهُ لَا غَرَضَ لِي إِلَّا لخَوف عقَابِه فَأَكُونَ كَالْعَبد السّوء إِنْ لَم يَخَف لَم يَعْمَل، قِيلَ لَهُ فَلِمَ تَعْبُدُهُ؟ قَالَ: لِمَا هُوَ أَهْلُهُ بِأَيَادِيه عَلَيَّ وَإِنْعَامه** - المضامينُ واضحةٌ، وهذا الكلامُ تقدَّم في الأحاديث الَّتي تلوتها عليكم في الحلقة الماضية.

إمامنا الباقر صلواتُ الله عليه، أيضاً يُحدِّثنا إمامُنا الحسنُ العسكريَّ عنه، فيقول باقرُ العُلوم صلواتُ الله عليه: **لَا يَكُونُ العَبْدُ عَابِداً لِلَّه حَقَّ عِبَادَتِه حَتَّى يَنْقَطِعَ عَن الخَلْقِ كُلِّهُم إِلَيْه، فَحِينَئذ يَقُول** - يقولُ الله - **هَذَا خَالِصٌ لِي فَيَقبَلُهُ بِكَرَمه** - المضامينُ هي هي.

إمامنا الصَّادقُ أيضاً يُحدِّثنا إمامنا العسكريّ عنه صلواتُ الله عليهما: **مَا أَنْعَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبْدٍ أَجَلَّ مِنْ أَنْ لَا يَكُونَ فِي قَلْبِه مَعَ الله تَعَالَى غَيْرُه** - فهذا هو أعظمُ نعيمٍ وأعظمُ نعمة مَنَّ الله سُبحانهُ وتعالى بها على عبده.

إمامنا بابُ الحوائج صلواتُ الله عليه: **أَشْرَفُ الأَعْمَال التَقَرُّبُ بِعِبَادَة الله تَعَالَى إِلَيه** - أشرفُ الأعمال، التقرّبُ بعبادة الله تعالى إليه، التقرّبُ تفعُّل، وهذا التفعُّلُ يحتاجُ إلى مُعاناة، يحتاجُ إلى جُهد، وهذا الجهدُ يتحقَّقُ أين؟ يتحقَّقُ في وعينا بمضمون العمل، لابُدَّ أن تكونَ النيّةُ مُشتملةً على هذا المضمون، وإلَّا فلا نيّةَ، ليس لأنَّ الأمر دينيّ، ما هي نيّةُ العباد حتَّى في الأمورِ الدنيويّة هكذا، لا شأن لكم بالنيّة الَّتي علَّمونا إيَّاها هؤلاء الغبران في النَّجف، هذه لا هي من نيّة الدنيا، ولا هي من نيّة الدين.

إمامُنا الرِّضا صلواتُ الله وسلامهُ عليه يُحدِّثنا عنهُ أيضاً إمامنا الحسنُ العسكري صاحبُ التفسير في هذه الآية: **"إِلَيه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب"** - ماذا يقول إمامنا الرضا في معنى (القَول الطَّيب)، ما هو هذا القولُ الطَّيبُ الَّذي يصعدُ إليه؟ - **"إِلَيه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب"** - إمامنا الرِّضا يقول: **قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، عَلِيٌّ وَلِيُّ الله وَخَلِيفَتُهُ مُحَمَّد رَسُول الله حَقّاً وَخُلَفَاؤُه** - خُلفاءُ عليّ - **خُلَفَاءُ الله، "وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعُهُ"؛ علمُهُ فِي قَلْبِه** - علمُ الشيعي في قلبه بأنَّ هذا الكلام، أيَّ كلامٍ؟ (**لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، عَلِيٌّ وَلِيُّ الله) - عِلْمُهُ فِي قَلْبِه بِأَنَّ هَذَا الكَلام صَحِيحٌ كَمَا قُلْتُهُ بِلِسَانِي** - فهو يعتقدُ به في قلبه، وهو يُردِّدهُ بلسانه، بصدقٍ وإخلاص، هذا المضمونُ هو جزءٍ من صلاتنا، غبران النَّجف بتروْا ذكر عليٍّ في التشهّد الوسطي والأخير، وإلَّا هذا جزء من صلاتنا، هكذا يقولُ القُرآنُ: **"إِلَيه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب"**، فذكرُ عليٍّ معَ ذكرِ الله ومعَ ذكرِ رسُوله هو جزءٌ من الكَلِمِ الطَّيب، وأنتم تأتون فتبترونَ الكلام الطَّيبَ هذا وتقولون من أنَّهُ يُبطلُ الصَّلاة وهو يُطيبُ الصَّلاة، ألا لعنةٌ على فتاوى مراجع النَّجف، ألا لعنةٌ على منهج حوزة النَّجف في استنباط الأحكام الشرعيّة وهُم يستنبطونَ لنا هذا الضلال، ذكرُ عليٍّ الكَلمُ الطَّيب يُبطلُ الصَّلاة؟!

إمامنا الجوادُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه يقول: **أَفْضَلُ العِبَادَة الإِخْلَاص** - والإخلاصُ لا يتحقَّقُ في النيّة ما لم يكن هناكَ من وعيٍ حقيقيٍ ينتمي إلى معرفةٍ حقيقيّةٍ نأخذها من المصادرِ الحقيقيّة من قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، ومن حديثهم المفهَّمِ بقواعدِ تفهيمهم، وهذا هو الَّذي أفعلهُ بين أيديكم.

سأنتقلُ بكم إلى الجزء الثاني من أجزاء العبادة: التوجّه.

وسنذهبُ في جولةٍ في الكتاب الكريمِ كي نرى ماذا يقولُ القُرآنُ:

التوجّهُ؛ هو روح العبادة.

الطقوسُ والأحكامُ؛ **جسدُ العبادة.**

التوجّهُ؛ هو روح العبادة.

وأمَّا النيَّةُ فهي الأساس هي البوّابةُ هي المفتاحُ، والنيّةُ لا تنفكُّ عن التوجّه، والتوجّهُ لا ينفكُّ عن النيّة، إنَّما هذا التقسيمُ والتفصيلُ كي يتَّضح الأمر، كي تكونوا على درايةٍ بفقه عبادتكم، بفقه صلاتكم.

والتوجّهُ مشروطٌ في كُلِّ العبادات؛ في الصلاة في الصيامِ في الحجِّ وسائر العبادات الأخرى، مثلما النيّةُ مشروطةٌ التوجّهُ مشروطٌ، وإلَّا فإنَّ العبادة ستبقى في طُقوسٍ وأحكامِ طقوسٍ وحينئذٍ لا قيمة لها..

سأبدأ معكم من الآية السابعة والسبعين بعد المئة بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ - هذه طقوسُ الصَّلاة على سبيل المثال، طقوسُ العبادات - **وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِر** - سأقرأ الآية إنَّ البر وهو الخير والعبادةُ هي الخير، والدينُ هو الخير، البرّ في المضمون وليس في الطقوس، الخير في المضمون - **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** - الحديثُ هنا عن الوجوه الجسديّة، إنَّما البرّ أن تتوجَّه الوجوهُ الباطنيّةُ المعنويّةُ، أن يتوجّه العقلُ والقلبُ إلى العقيدة الصحيحة، إلى المعتقد الصحيح، إلى المعرفة الصحيحة - **وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** - وتفرع على ذلك - **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّه ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ** - وسيدُ العهود هو العهدُ مع إمامِ زماننا، إنَّها بيعةُ الغدير في وجهيها؛ الثابتِ والمتحرك - **وَالصَّابِرِيْنَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِيْنَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**، أين يكونُ البر؟ وأين تكونُ الحقيقةُ؟ حينما تتوجَّهُ الوجوهُ الحقيقيّةُ العقولُ والقُلوب إلى الجهة الصحيحة، وحينما يقومُ الإنسانُ بأعماله بشكلٍ صحيحٍ وفقاً لمضمونٍ صحيحٍ في العُقول وفي القُلوب وإلَّا فإنَّ القضيّة الجسديّة في طُقوسٍ جسديّةٍ بعيدةٍ عن مضمونٍ صحيحٍ في العُقول والقُلوب لا قيمة لكُلِّ ذلك ولا معنى لهُ ولا حقيقةَ لهُ.

ومن سورة البقرة إلى سورة الأنعام:

وإلى الآية التاسعة والسبعين بعد البسملة: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيْفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**، هذا هو المضمونُ الَّذي تحدَّثتَ عنهُ الآيةُ السابقة في سورة البقرة؛ فإنَّهُ ليس براً أن تتوجّه وجوهنا الجسديّةُ إلى المشرقِ، إلى المغربِ، إلى القبلةِ، إلى غيرها، وإنَّما البرّ الحقيقي أن تتوجّه عقولنا وقلوبنا، ووجهنا الحقيقي هو هذا في عقولنا وفي قلوبنا.

هذه العبادةُ الرّحمانيّةُ الملائكيّة، لا تتحدَّثُ عن عبادة لله فقط من دون أن نشترط فيها هذا الشرط بحسبِ ما يريد، لأنَّ العبادة تلكَ عبادةٌ إبليسيّةٌ محضة، إنَّها عبادةُ الوهابيّين، إنَّها عبادةُ سقيفةِ بني ساعدة، إنَّها عبادةُ النَّواصب من مخالفي مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد، العبادةُ الخالصةُ المخلَصة هي العبادةُ الَّتي تكونُ لله بحسبِ ما يُريد.

من سورة الأنعام نذهبُ إلى سورة يونس:

وإلى الآية الخامسة بعدَ المئة بعدَ البسملة: **﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**،

هناكَ نكتةٌ دقيقةٌ جدّاً؛ ماذا قالت الآية؟ **﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ** - ما قالت الآيةُ (وجه وجهك) - **وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾**، إقامةُ الوجه هو أن نُوجِّه وجوهنا بعناية وباستمرارٍ دونَ التفات عن الجهة الَّتي وجَّهنا وجوهنا إليها، مرَّةً نؤدِّي الصَّلاة، أداءَ الصَّلاة؛ أن نأتي بأفعالها وأركانها وأجزائها هذه الَّتي نعرفها، وليس هناكَ من ضمانٍ في قبولها، وليس هناكَ من ضمانٍ من أنَّها صلاةٌ حقيقيّةٌ، هذه صلاةٌ ظاهريّةٌ، عُرفاً يُقالُ لها صلاة، في عُرف النَّاس، لكن في عُرف

الملائكة لا يُقالُ لها صلاة، هذا أداءٌ للصَّلاة، الصَّلاةُ الَّتي هي صلاةٌ في عُرف الملائكة وتُسجَّلُ صلاةٌ ولا تُلفُّ وتُضرَبُ بها وجوهنا ولا تَرفعُ صوتها هذه الصَّلاة بالدعاء علينا، (ضَيعتُمُوني ضَيعكُم الله) ، حينما نُقيمُ الصَّلاة، إقامةُ الصَّلاة غيرُ أداء الصَّلاة، وكذا الأمرُ في إقامة الوجه حينما نُقيمُ وجوهنا إنَّنا نتَّجهُ إلى الجهَة الَّتي لابُدَّ أن نتجّه إليها، ولكن معَ عقيدةٍ سليمةٍ، معَ مضمونٍ صحيحٍ، معَ نيّةٍ تشتملُ على الجزأين، هنا تتعانقُ النيّةُ معَ التوجّه.

ومن سورة يونس إلى سورة الروم:

وإلى الآيَة الثلاثين بعد البسملة من سورة الروم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّيْنِ حَنِيْفَاً** - المضمونُ هو هو وتستمرّ الآيةُ - **فطْرَةَ الله الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** - ومر علينا الكلامُ في معنى فطرة الله؛ (لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحمّدٌ رسُولُ الله عَلِيٌ وَلِيّ الله) ، هذه هي الفطرة وهذا هو الدين، وهنا الوجهُ الَّذي يريدُ اللهُ منّا أن نتوجّه إليه - **فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّيْنِ حَنِيْفَاً فطْرَةَ الله الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، ذلك الدِّينُ القَيِّمُ بحسَب الأحاديث الَّتي مرتْ علينا عَن أميرِ المؤمنين؛ الدِّينُ القَيِّمُ هو نَفسهُ دينُ القيمة الَّذي جاء مذكوراً في الآيَة الخامسة بعد البسملة من سورة البيِّنة.

ومن الآيَة الثلاثين إلى الآيَة الثالثة والأربعين بعد البسملة من نفس السورة من سورة الروم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّيْنِ الْقَيِّمِ من قَبْلِ أن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ منَ اللهِ يَوْمَئذ يَصَّدَّعُونَ**﴾، لماذا الحديثُ عن الوجه في كُلِّ هذه الآيات لماذا لم يكن الحديثُ عَن القلبِ مَثلاً؟! والقلبُ هو الوجهُ بالنسبة لنا، لأنَّ منظومة مصطلحات القُرآن تقتضي أن يكون التعبيرُ بالوجه، لماذا؟ لأنَّ القُرآن عَبَّرَ عن الحقيقة المُحمَّديَّة بالوجه، وعَبَّرَ عن الإمام المعصوم بالوجه..

ومن سورة الروم إلى سورة البقرة:

وإلى الآيَة الثانية بعد العاشرة بعد المئة بعد البسملة: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للّه وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، أسلَمَ وَجْهُهُ لله؛ المعنى يكونُ أعمق وأدق من (أقامَ وَجْهَهُ). أسْلَمَ وجْهُهُ للّه، كيفَ يُسْلِمُ وَجْهَهُ لله؟ إنَّهُ يُسْلِمُ وجهَهُ لوجه الله.

الآيةُ الخامسةُ والعشرون بعد المئة بعد البسملة من سورة النساء: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ ملَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفَاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلاً**﴾، المضمونُ هو هو قلتُ لكم لا أريدُ أن أقف عند تفاصيل الآيات وإنَّما أذهبُ إلى الجهة الَّتي أريدها الَّتي ترتبطُ بموضوع التوجّه الَّذي أتحدثُ عنهُ في هذه الحلقة، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله**﴾.

من سورة النساء إلى سورة لقمان:

وفي الآيَة الثانية والعشرين بعد البسملة من سورة لقمان: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾، والعروةُ الوثقى في أحاديثهم؛ ولاية علي، العروة الوثقى في أحاديثهم أمير المؤمنين، العروةُ الوثقى في أحاديثهم مُحمّدٌ وآلُ مُحمّد، العروةُ الوثقى في أحاديثهم إمامُ زماننا؛ إمامُ زمانِ كُلِّ شيعة في زمانهم، العروةُ الوثقى مُحمّدٌ وآلُ مُحمّد، العروةُ الوثقى بيعةُ الغدير، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَه﴾، هذه هي العروةُ الوثقى الَّتي إذا تمسّك بها مُتمسّكٌ فإنَّهُ قد نجا، قد فازَ ونجا.

-**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾، وهو مُحسِنٌ؛ الإحسانُ ولايةُ عليٍ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، والتسليمُ لأمره.

إذا مَا ذهبنا إلى سورة الشورى:

وفي الآيَة الثالثة والعشرين بعدَ البسملة من سورة الشورى: ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ** - ما هي هذه البشرى؟ - **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾، الحسنةُ هنا بحسبِ تأويلهم لقُرآنهم بحسبِ تفسيرهم لقُرآنهم؛ التسليمُ لهم، التسليمُ بعدَ المودَّة، المودَّةُ معرفةٌ ومحبّةٌ، ﴿**وَمَن يُسلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾.

في سورة المؤمنون: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** - أفلحوا فازوا وأحسنوا ونجحوا - **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** - قد أفلح المُسلّمون، بحسبِ أحاديثهم، بحسبِ تأويلهم، بحسبِ تفسيرهم - **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** - قد أفلحَ المُسلّمون، والْمُسلّمون هم المُفلحون وهم الفائزون وهم المُحسنون.

هذا المضمونُ هو الَّذي نقرؤهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة:

في (مفاتيح الجنان) ، ماذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة الَّتي هي دستورُ عقائدنا؟ هكذا نُخاطبهم: (**مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلَانِيَتِكُم، وَشَاهِدِكُم وَغَائِبِكُم، وَأَوَّلِكُم وَآخِرِكُم، وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّه إِلَيْكُم، وَمُسَلِّمٌ فِيه مَعَكُم، وَقَلْبِي لَكُم مُسَلِّم، وَرَأيِي لَكُمْ تَبَع، وَنُصْرَتِي لَكُم مُعَدَّة، حَتَّى يُحْيِي اللَهُ تَعَالَى دِيْنَهُ بِكُم، وَيَرُدَّكُم فِي أَيَّامه، وَيُظهِرَكُم لِعَدْلِه، وَيُمَكِّنَكُم فِي أَرْضه، فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غَيرِكُم، آمَنْتُ بِكُم، وَتَوَلَّيتُ آخِرَكُم بِمَا تَوَلَّيتُ بِه أَوَّلَكُم، وَبَرِئْتُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُم**) ، إلى بقيَّة عبائرَ الزيارة الشَريفة، هذا هو الانقطاعُ لهم، الانقطاعُ لهم هو هذا الانقطاعُ إلى الله، نحنُ لا نستطيعُ أن ننقطعَ إلى الله، وفقاً لأيّ سَبب وعلى أساس أيَّة جهة ننقطعُ إلى الله، ليس لنا من صلة فيما بيننا وبينهُ بشكلٍ مباشر، لقد خلقنا عبرَ الأسباب وخاطبنا عبرَ الأسباب وحرّك عُقولنا عبرَ الأسباب، بَعَثَ إلينا الأنبياء كي يُثيروا دفائن عقولنا، لم يترك عُقولنا تتحرّك من وحدها، إذاً كيفَ نُخاطبهُ نحنُ ونتواصلُ معهُ من دونِ أسباب؟ كيفَ يستقيم هذا المنطق؟! هو القادرُ أن يُخاطبنا من دونِ أسباب ولكنَّهُ ما فعل ذلك، نحنُ العاجزون سَنُخاطبهُ من دونِ أسباب؟! الانقطاعُ إلى الله هو هذا، التسليمُ لله هو هذا، نحنُ نُسلِّم لله كيف يكونُ هذا؟ هذا هو المعنى، هذه الجُمَلُ تركت مجالاً لنا أن نُسلِّم لجهةٍ أخرى؟!

الآيةُ الخامسةُ والستون بعد المئتين بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله**﴾، من كُلّ الآيات المتقدِّمة والآيات الَّتي ستأتينا فإنَّ مرضات الله لن تتحقَّق إلَّا بالتوجّه إلى وجه الله سبحانَهُ وتعالى، وهذا واضحٌ واضحٌ في كُلِّ آياتِ الكتاب الكريم، والحديثُ هنا عن العباداتِ الماليّة، فليست العباداتُ صلاةً وصياماً فقط، هناك عباداتٌ ماليّةٌ قد تكونُ مُقدَّمةً على سائر العباداتِ في بعض الأحيان.

﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّه وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾، هذا التثبيتُ من أنفسهم يقودنا إلى الآيَة السَابعة والعشرين بعد البسملة من سورة إبراهيم: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ** - بأيِّ شيء؟ - **بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**﴾، القولُ الثابتُ في هذه الآيَة بحسبِ تأويلهم، بحسبِ رواياتهم، بحسبِ تفسيرهم، القولُ الثابتُ؛ ولايةُ علي إنَّها بيعةُ الغَديرِ بوجهيها بوجهها الثابتِ ووجهها المتحرك إنَّها ولايةُ إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

فهذه عبادةٌ، عبادةٌ ماليّةٌ، الجهةُ الَّتي يُتوجَّهُ إليها هي الجهةُ الَّتي ينالون منها رضا الله ابتغاءَ مرضات الله، من أين ننالُ رضا الله؟ فَاطمَةُ يَرضَى الله لِرِضَاهَا ويَغضَبُ لِغَضَبِها، نحنُ نستطيعُ أن نتعاملَ معَ فَاطمَة، لكنَّنا لا نستطيعُ أن نتعامل معَ الله، وفَاطِمَةُ هي المسؤولةُ عنَّا؛ ﴿**وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَةِ**﴾، هي قَيمةُ الدين وهي القَيمةُ على أهل الدين، نستطيعُ أنَ نتعاملَ معها.

المعنى يتجلَّى بشكلٍ أوضح في الآية الثانية والسبعين بعدَ المئتين بعدَ البسملة من سورة البقرة، والكلامُ في جوِّ العبادات الماليّة أيضاً: ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ** - مثلما مرَّ علينا "وَتَثْبِيتاً مِن أَنْفُسِهِم" - **وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون**﴾.

مَا نحتَاجهُ منَ الآيَةِ هنا: ﴿**وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله**﴾ ، هذا هو الانفاقُ الَّذي يريدهُ الله، هذا هو الخيرُ الَّذي يريدهُ الله، ﴿**وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**﴾، هذهِ هي العبادةُ الَّتي يريدها الله.

إذا ما ذهبنا إلى سورة الإنسان يتجلَّى المعنى واضحاً جدَّاً:

في سورة الإنسان في سورة هل أتى، إنَّها الآيةُ التاسعة بعد البسملة من سورة الإنسان: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيْدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً**﴾ ، ﴿**إِنَّمَا** - عمليّةُ حصر - **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله**﴾، ما قالت الآيةُ (إنَّما نُطعمكم لله) هناكَ تأكيدَ، الإنفاقُ ابتَغاءَ وَجه الله، الإطعامُ وهو إنفاقٌ أيضاً لوجه الله.

وإذ ما ذهبنا إلى سورة الليل:

وإلى الآيات في آخرها من الآية السابعة بعد العاشرة بعد البسملة وما بعدها: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى** - من هو هذا؟ - **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾.

الحَديثُ عنَ الوجهِ، لماذا؟ حديثٌ عنَ وجهِ اللهِ، وحديثٌ عن وجوهنا، تُلاحظون من أنَّ الآيات الَّتي تحدَّثت عنَّا أمرتنا أن نُسلِمَ وجوهنا، أن نُقيمَ وجوهنا، أن نُوجِّه وجوهنا، والآياتُ الَّتي تحدَّثت عن الله تحدَّثت عن وجههِ، لماذا؟ لأنَّ وجوهنا باتجاهِ وجههِ سبحانهُ وتعالى.